مجلة المختار للعلوم الإنسانية 22 (1): 159-179، 2013

Research Article Open Access

القائد أبو مسلم الخراساني ودوره السياسي والعسكري منذ مرحلة الدعاية للخلافة العباسية حتى مقتله (من سنة 100 هـ حتى سنة 137هـ أصله ونشأته والتحاقه بالعباسيين)

عبد الفتاح رجب

Doi: https://doi.org/10.54172/yrm6df19

المستخلص : تثير شخصية القائد أبو مسلم الخراساني جدلاً حول أصله وكيفية انضمامه للعباسيين، حيث يختلف الرأي بين أنه كان كردي الأصل، أو من سلالة العباسيين، أو فارسي. يروي التاريخ أنه كان مملوكًا لعيسى وإدريس من بني عجل، وقدمت له فرصة لخدمتهما بفضل نباهته. بعد اعتقال عيسى، قام أبو مسلم بخدمته وجذب انتباه بني العباس بفطنته، مما دفعهم لدعوته لمبادئهم. بعد وفاة عيسى، ادعى أبو مسلم أنه قد أطلق سراحه. عمل بعدها في الكوفة كسراج وأقام علاقات مع دعاة العباسيين في خراسان، وأثناء زيارتهم لزملائهم في السجن، تأكدوا من صلته بهم وأرسلوه إلى الإمام إبراهيم في مكة مع كتاب يشير إلى ذكاءه وإخلاصه، فرحب به الإمام وأرسله إلى أتباعه مع رسالة تؤكد فضله وثقتهم به.

الكلمات المفتاحية: أبو مسلم الخراساني, السلطة العباسية, التحاق بالعباسيين, النشأة والأصل, التاريخ الإسلامي

The leader Abu Muslim al-Khorasani and his political and military role from the stage of advocating for the Abbasid Caliphate until his assassination (From the year 100 AH to 137 AH: His origin, upbringing, and joining the Abbasids)

Abdel-Fattah Rajab

Abstract: The personality of Commander Abu Muslim al-Khorasani sparks debate about his origin and how he joined the Abbasids, with opinions differing as to whether he was of Kurdish origin, from the Abbasid dynasty, or Persian. History narrates that he was a slave to Isa and Idris of the Banu Ajl family, and was given the opportunity to serve them due to his astuteness. After Isa's arrest, Abu Muslim served him and caught the attention of the Abbasids with his intelligence, prompting them to invite him to embrace their principles. After Isa's death, Abu Muslim claimed to have been released by him. He then worked in Kufa as a tanner and established relationships with Abbasid preachers in Khorasan. During their visits to their colleagues in prison, they confirmed his connection with them and sent him to Imam Ibrahim in Mecca with a letter indicating his intelligence and loyalty, welcomed by the Imam who then sent him to his followers with a message affirming his virtue and their trust in him.

Keywords: Abu Muslim al-Khorasani, Abbasid authority, Joining the Abbasids, Origin and background, Islamic history

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

تختلف الآراء حول أصل هذا القائد إذ قيل بأنه كردي الأصل[1] وهناك من يرى بأنه من العباسيين من ذرية سليط بن عبدالله بن العباس[2] غير أن معظم الروايات التاريخية تذهب إلى كونه فارسي[3].

كما لا يتفق المؤرخون على الكيفية التي التحق بها أبو مسلم الخراساني بخدمة العباسيين، فالدينوري يقول بأنه كان مملوكاً لعيسى وإدريس من بني عجل، ولقد ولد عندهما ونال عندهما قبولاً بفضل نباهته.

حدث أن تلكأ عيسى بن معقل في دفع الخراج، فاشتكاه عمال أصبهان وهمذان إلى والي العراق يوسف بن عمر الثقفي، فأخذ إلى سجن الكوفه، وكلف عيسى بن معقل قبل ذهابه إلى السجن أبا مسلم الخراساني بإنجاز بعض الأعمال، وكان أبو مسلم يزور عيسى في سجنه ويقوم بخدمته، وقد حوى السجن عدداً من السجناء المتشيعين لدعوة بني العباس، فسمع أبو مسلم حديثهم الذي استهواه، ولما عرفوا منه ذلك وأعجبهم ذكاؤه دعوه إلى ما يدعون إليه[4].

لم يلبث عيسى العجلي أن مات بالسجن، فأدعى أبو مسلم بأنه قد اعتقه سيده قبل أن يموت[5].

عمل أبو مسلم الخراساني سراجاً في الكوفة، لخبرته في دباغة الجلود[6] واتصل في الكوفة بعدد من كار الدعاة العباسيين في خراسان مثل سليمان بن كثير، ولاهز بن قريط، وقحطبة بن شبيب[7] وقد توثقت صلته بهم أثناء زيارتهم لأصحابهم في سجن الكوفة فأرسلوه إلى الإمام العباسي إبراهيم في مكة ومعه كتاب إليه ورد فيه ما يلي: ((أما بعد.. فقد بعثنا إليك غلاماً أميناً لبيباً أديباً كتوماً حافظاً لما استرعى مؤدياً لما أعطى اتخذناه لأنفسنا وأتمناه على سرنا، فهو على ما تحب، فضع عنده ما أحببت أن تضع فإنه على ما تحب في جميع خصاله[8])).

لما وصل أبو مسلم إلى الإمام إبراهيم قرأ الكتاب وأمتحن أبا مسلم، فوجده كما وصفه له أتباعه في الكوفة فزوده بكتابه إليهم جاء فيه: ((أما بعد... فقد قدّم علي رسولكم وقرأت كتابكم وعلمت الذي ذكرتم، وقد

تخيلت في رسولكم الخير وتأملت فيه شمائل الذي يقوم بهذا الأمر، فاحتفظوا به وارغبوا فيه، فإنه صاحبكم الذي يقوم بهذا الأمر[9].

وصل أبو مسلم الخراساني إلى الكوفة يحمل خطاب الإمام، وأصبح يتولى مهمة توصيل الرسائل إلى الإمام ومع مضي الوقت استخلصه الإمام إبراهيم لخدمته وظل مقيماً عنده.

يبدو أن بقاء أبي مسلم مقيماً مع الإمام صادف هوى في نفسه، بحيث يكون قريباً من مركز الدعوة، وظل عند الإمام ثم رأى أن يرسله إلى خراسان حتى يشرف على أمور الدعوة، وهناك من يذهب إلى أن اتصال أبي مسلم بالأئمة العباسيين يرجع إلى عصر الإمام محمد بن علي العباسي، لأن الإمام إبراهيم صرح بأنه كثيراً ما شاهد أبا مسلم في مجلس والدة الإمام محمد[10].

وصف المؤرخ المقدسي أبا مسلم الخراساني بقوله: ((كان قصيراً اسمراً جميلاً حلواً... نقي البشرة، أحور العين، عريض الجبهة، حسن اللحية.. وأفرها طويل الشعر... خافض الصوت ملماً بالعربية والفارسية، حلو المنطق رواية للشعر... عالماً بالأمور... لم ير ضاحكاً ولا مازحاً... تأتيه الفتوحات العظام فلا يظهر عليه أثر السرور، وتنزل به الحوادث الفادحة فلا يرى مكتئباً ... وإذا غضب لم يستفره الغضب[11] كما عُرف أبو مسلم بكرمه حتى أنه لما حج فيما بعد بالناس قال: ((برئت الذمة ممن أوقد ناراً... وبذلك كفى العسكر ومن معه أمر طعامهم وشرابهم في ذهابهم وإيابهم[12].

جهود القائد أبي مسلم الخراساني لأمر الدعوة العباسية في خراسان:

بذل أبو مسلم الخراساني جهوداً مضنية في دعوته لبني العباس والقضاء على دولة الأمويين، مما جعله بحق أعظم دعاة العباسيين، بسبب حنكته ودهائه، بفضل الشراك التي نصبها لخصومه وحال دون اتحادهم[13].

قال عنه ابن تغرى بردي: ((صاحب دعوة بني العباس، وأحد من قام بأمرهم حتى تم له ذلك، ووطأ لهم البلاد، وقتل العباد))[14].

رأى العباسيون بأنهم لن يجدوا كثيراً من المؤيدين في الأقاليم العربية، لذا فإنهم قد وجهوا عنايتهم إلى إقليم خراسان الفارسي، وهذا ما دعا بالإمام محمد بن علي العباسي أن يوجه دعاته إلى هذا الإقليم ووضح سبب ذلك في خطاب وجهه إليهم: ((أما الكوفة وسوادها.. فشيعة علي وأولاده، وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف وتقول: كن عبدالله المقتول، ولا تكن عبدالله القاتل، وأما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب أعلاج ومسلمون في أخلاق النصارى، وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان، وطاعة مروان وفيهم عداوة راسخة وجهل متراكم، وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بخراسان... فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر... وهناك صدور سليمة، وقلوب فارغة لم تتقسمها الأهواء، ولم تتوزعها النحل، ولم يقدح فيها فساد، وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحي وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة، وبعد فإني اتفائل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق[15].

يتضح من خلال النص السابق أن الإمام العباسي كان على دراية بتوزيع الولاءات السياسية في الأقاليم الإسلامية، لذا فإنه وجه دعاته إلى إقليم خراسان ليكون منطلق الدعوة العباسية، وقد كان هذا الإقليم مناسباً للأسباب الآتية:

أولاً: إن الشعار الذي رفعه العباسيون هو الرضا من آل محمد وهو يهدف إلى نقل الخلافة إلى بيت النبي وهذا يوافق ما هو عند أهل خراسان من الفرس الذين يرون أن حق الرئاسة والملك ينحصر في الأسرة الحاكمة، وذلك مما يسمى عندهم بالحق الإلهي، ولا يجوز نقل الحكم إلى غيرهم.

ثانياً: معاناة الأقاليم الفارسية من استبداد ولاة بني أمية، لذا كان أهلها على أهبة الإستعداد للتعاون في الانضمام إلى كل نار ضد بني أمية، لاسيما وإن كان من بيت النبوة[16].

ثالثاً: نشوب ثأر العصبية القبلية بين القبائل العربية القاطنة بإقليم خراسان، ومما زاد الطين بله، تعصب كل والي يولي في العهد الأموي إلى أبناء قبيلته، مما أدى إلى نشوب الصراعات الدموية بين القبائل العربية، كالذي وقع في عهد الوالي عبدالله بن حازم الذي تعصب لمضر[17]، والوالي أسد بن عبد الله القسري[18].

ذهب أبو مسلم الخراساني إلى خراسان، وقد كان الإمام إبراهيم قد أمر دعاتة في خراسان بطاعة أبي مسلم[19] كما أمر أبا مسلم بأن لا يخالف كبير الدعاة الشيخ سليمان بن كثير[20].

أظهر أبو مسلم ثباتاً في الرأي، وقدرته على انتهاز الفرص وإلى الشدة والمرونة والدهاء، مما أدى في النهاية إلى تحقيق هدفه، فأهتم بتنظيم الدعوة، وأمر دعاته بأن يتجولوا في زي التجار لنشر الدعوة، وجعل على كل جماعة رجلاً من أهلها[21].

بدأ يلاقي النجاح في دعوته حتى أنه قد وفد إليه في يوم واحد أهل ستين قرية[22] ثم يذكر الدينوري أنه أجاب دعوته جميع أهل خراسان[23].

وقد ساعدت الظروف السائدة في خراسان على انتشار الدعاة العباسيين في أرجائها دون أن يتفطن إلى ذلك والي خراسان نصر بن سيار في البداية، لانشغاله بالحروب التي نشبت بينه وبين القبائل اليمنية في خراسان، وفشله في عقد الصلح مع الكرماني قائد اليمنيين[24] ولما بدأ نشاط دعاة العباسيين يصل إلى مسامع نصر بن سيار حتى كتب إلى الخليفة الأموي مروان بن محمد من أجل نجدته[25] غير أن الخليفة الأموي كان منشغلاً بإخماد الفتن والثورات، التي هددت مركز الدولة في دمشق وبإخماد ثورات الخوارج في الأقاليم المختلفة من الدولة في الشام وفلسطين وحمص والعراق والأهواز[26] إن إخماد تلك الثورات كلفت مروان بن محمد كثيراً من الوقت والمال، مما أدى إلى انشقاق عن تلبية نداء واستغاثة نصر بن سيار وإليه على خراسان، ولما استجد به نصر بن سيار للمرة الثانية أرسل مروان بن محمد إلى واليه يزيد بن هبيرة على العراق، بنجدة نصر بن سيار فلم ينجده[27].

اطمأن أبو مسلم إلى الدعوة بعد أن اتسعت قاعدتها فأرسل تقريراً للإمام إبراهيم جاء فيه: ((لقد عمت الدعوة أرض خراسان سهلها وجبلها وأقصاها وأدناها))[28].

أرسل الإمام إبراهيم إلى أبي مسلم الخراساني باللواء والراية، وكان اللواء يدعى بالظل والراية بالسحاب ويرجع سبب تلك التسمية إلى أن السحاب يطبق على الأرض، كذلك دعوة بني العباس، أما الظل فإن الأرض لا تخلو منه أبداً، كذلك فإن خلافة بني العباس تستمر إلى آخر الدهر[29].

كتب الإمام إبراهيم إلى أبي مسلم يأمره بإعلان الثورة، وأمره بأن يرسل إليه قحطبة بن شبيب بما معه على أن يلتقي به في موسم الحج[30] فبحث أبو مسلم قحطبة إلى الإمام بعد أن زوده بالمتاع والأموال[31].

نزل أبو مسلم بقرية الداعية سليمان بن كثير المسماة سفيدنج لقربها من مرو عاصمة إقليم خراسان[32] وبعث برجاله إلى نواحي خراسان يعلمهم باليوم الذي يجهر فيه بالثورة[33].

وفي ليلة الخميس الموافق 25 رمضان سنة 129هـ عقد أبو مسلم اللواء الذي أرسله إليه الإمام إبراهيم على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً وهو يتلو قول الله تعالى: [أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير]، ولبس أبو مسلم السواد وأمر أتباعه بلبسه[34] وأمر أبو مسلم الخراساني بإيقاد النيران على قمم الجبال في تلك الليلة فالتف عليه أنصاره وعن ذلك يقول الدينوري: ((وانجفل الناس على أبي مسلم من هراة ويوشج ومرو الروذ والطالقان ومرو ونساو وابيؤرد ونيسابور وقومس وسرخس وبلخ والصفانيان والطخارستان وحتلان وكش ونسف... واقبلوا فرساناً وحمارة ورجالة زهاء مائة ألف رجل))[35].

حصّن أبو مسلم معقله في سفيدنج، ولما كان عيد الفطر 129 هـ أقيمت أول صلاة لدعاة العباسيين عندما أمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يصلي بالناس ونصب له منبراً في المعسكر ظل أبو مسلم في سفيدنج اثنين وأربعين يوماً ووزع الدعاة في نواحي خراسان لتنظيم أمر الدعوة[36] ثم تحول إلى قرية الماخوان القريبة من

مرو وحفر حولها خندقاً[37] فتوافد عليه الأتباع من كل أنحاء خراسان، كما أتى إليه عدد كبير من العبيد الأرقاء الذين خلعوا طاعة ساداتهم[38].

تنبه القادة العرب المتحاربين حول مرو إلى الخطر الذي أصبح يهددهم فحاولوا التحالف ضده فأرسل نصر عارضاً الصلح على القبائل اليمنية، كما كتب إليهم شعراً جاء فيه.

أبلغ ربيعة في مرو وإخوتها أن يغضبوا قبل أن لا ينفع الغضب[39] وتصالح نصر مع زعيم الخوارج في خراسان شيبان الحروري ثم تصالح مع جديع الكرماني واتفقوا على قتال أبي مسلم الخراساني[40].

استطاع أبو مسلم الداهية أن يفرق بين أعدائه وذلك بأن كتب إلى شيبان الحروري يذم اليمانية ومرة يذم المضريين[41] كما أنه أرسل لعلي الكرماني من يقول له: ((أما تأنف من مصالحة نصر وقد قتل بالأمس أباك وصلبه، ما كانت أحسبك تجامع نصر بن سيار في مسجد تصليان فيه[42] ووصل به الأمر أن ذهب إلى الكرماني بنفسه وأقنعه بأن يستأنف القتال مع نصر بن سيار، ثم رجع في أوائل سنة 130 هـ إلى ماخوان منتظراً ما ينتج عنه قتال أعدائه فيما بينهم[43].

انتظر أبو مسام في معقله حتى علم بأن الكرماني قد حاصر مدينة مرو سنة 130 هـ وهجم على جيش نصر في داخلها حينئذٍ دخل أبو مسام المدينة وأوقف القتال[44].

بدأ أبو مسلم في تعقب أعدائه، بأن سّلم قيادة الجيش إلى قحطبة بن شبيب بناءً على أوامر الإمام إبراهيم، ثم بدأ يشيبان الخارجي الذي التجأ إلى مدينة سرخس فطلب منه أبو مسلم البيعة، ولما رفض هاجمه وقاتله حتى قتله، فهرب جيشه والتحقوا بنصر بن سيار في نيسابور وأرسل نصر بن سيار ابنه ضد الجيش العباسي فقتل بالقرب من طوس فهرب نصر من نيسابور في شوال سنة 130 هـ[45].

تخلص أبو مسلم الخراساني من علي بن جديع الكرماني، في طريقة إلى نيسابور، وقتل أخوه عثمان بن جديع في طخارستان وبهذا تخلص من زعماء القبائل العربية اليمانية[46]

بعد أن فرّ نصر بن سيار بدأ أبو مسلم في تعقب أتباعه وأعوانه فقبض على صاحب شرطة نصر في مرو سالم بن أخوز ومعه عدد من وجهاء نصر وقام بقتلهم[47].

بدأ أبو مسلم في تنظيم ما ضمه في خراسان، فأرسل ولاته على مدنها سمرقند وطخارستان وطوس[48] وبدأ في تنظيم الجيش لمتابعة الزحف نحو العراق والشام لاستئصال الحكم الأموي، وجعل قحطبة بن شبيب قائد للجيش العباسي وأمر الجند بالسمع والطاعة له[49].

أرسل أبو مسلم قحطبة بن شبيب إلى مدينة طوس وقد كان بها النابي بن سويد العجلي[50] ومعه تميم بن نصر بن سيار وكان نصر بن سيار قد أرسله لنجدة واليها النابي، فدعا قحطبة بن شبيب النابي وتميم إلى الدخول في الدعوة فلم يجيباه، فتقابلوا في موضع يدعى السوذقان فتم مقتل تميم وهرب النابي إلى حصن المدينة غير أن قحطبة نقب سور الحصن ودخل وقتل النابي وجميع من معه[51].

لما وصلت الأنباء إلى نصر بن سيار بمقتل ابنه وهزيمة أتباعه، كتب إلى مروان بن محمد يعلمه بخطورة الموقف فأرسل إليه الخليفة مدداً يقوده نباته بن حنظله الكلابي، في تلك الأثناء كان قحطبة بن شبيب قد وصل إلى مدينة نيسابور وأحتلها، فدخل أهلها في البيعة للرضا من آل محمد.

وصل نباته بجيشه إلى جرجان، وأنضم إليه فلول المنهزمين من أتباع نصر بن سيار، تحرك قحطبة في ذي القعدة سنة 130هـ لقتال نباته، ولما التقى الجيشان تخوف رجال قحطبة لأن جيش نباته كان كثير العدد، غير أن القائد قحطبة خطب في أتباعه، خطبة حفزّهم فيها على القتال ودعاهم إلى الثبات والصبر، وإنهم أي أهل خراسان هم أهل البلاد الأصليين وقد جاءتهم الفرصة للانتقام مما لحقهم من ولاة بني أمية، فانجلت المعركة عن مقتل نباته وهزيمة أتباعه[52].

انتهى المطاف بنصر بن سيار في قومس، ثم غادرها إلى خوار الري[53] فأرسل قحطبه بن شبيب ولده الحسن للقضاء على نصر بن سيار، فلما وصلت الأخبار إلى نصر بن سيار أرسل مرة ثانية إلى يزيد بن هبيرة

وإلى العراق من أجل نجدته غير أن ابن هبيرة لم يفعل[54] فكتب نصر إلى الخليفة مروان بن محمد يعلمه بذلك[55] فأرسل مروان لابن هبيرة يأمره بإرسال المدد إلى نصر بن سيار فجهز جيشاً كبيراً أمد به نصر[56].

في تلك الأثناء تحرك القائد قحطبة بن شبيب في اتجاه الغرب من أجل القضاء على نصر بن سيار، وكان نصر قد وصل إلى الري ثم غادرها إلى همذان، غير أنه مرض في الطريق وتوفي في ربيع الأول سنة 131هـ عن خمسة وثمانين سنة[57].

لما وصلت الأنباء إلى ابن هبيرة بوفاة نصر بن سيار واستيلاء قحطبة بن شبيب على المدن والأقاليم، أمر القائد عامر بن خبارة وابنه ذاوود بأن يسير بالجيش إلى كرمان حيث تعسكر جيوش قحطبة وهناك التقى الجيشان، فقتل عامر بن خبارة وهزم أتباعه وذلك في رجب سنة 131 هـ[58].

تحرك قحطبة بعد هذا النصر إلى نهاوند وساعد ولده الحسن في حصارها وضربها بالمنجنيق، فطلب حاكم المدينة مالك بن أدهم الأمان، فأعطاه قحطبة الأمان، ففتحت نهاوند أبوابها في ذي القعدة سنة 131هـ[59].

وصل القائد داوود بن يزيد بن هبيرة منهزماً أمام جيوش العباسيين، فخرج يزيد بن هبيرة لمقاتلتهم بعد أن وصله مدداً من الخليفة الأموي بقيادة حوثرة الباهلي، وبالقرب من الكوفة أنهزم الجيش الأموي، وأنسحب ابن هبيرة إلى واسط وتحصن بها، ودخل العباسيون إلى مدينة الكوفة، وتولى قيادة الجيش العباسي الحسن بن قحطبة على إثر موت والده قحطبة غرقاً[60].

ارتفع شأن الدعوة العباسية بعد هذه الانتصارات فكثر أنصارها، فلبس الناس السواد في البصرة والكوفة.. وكان من مؤيديها الجدد محمد بن خالد القسري ابن والي العراق السابق، وخطب في الكوفة معلناً خلع طاعة بني أمية، وأنه يقدم ولاءه لآل محمد[61].

كان أبو مسلم منهمكاً خلف خطوط القتال يرسم الخطط والمكائد لاستئصال شأفة المعادين للدعوة، وينظم شئون الحراج ويشرف على توزيع الأموال على مستحقيها وكان يقيم في مدينة مر والتي اتخذ منها مركزاً للقيادة والتوجيه[62].

وقعت في يد الخليفة الأموي مروان بن محمد مراسلات بين أبي مسلم الخراساني والإمام إبراهيم العباسي فعلم عن طريقها بأنه هو القائم بأمر الدعوة فأرسل إليه من قبض عليه في الحميمة، وأرسله إلى حران حيث تم قتله[63].

كان الإمام إبراهيم قد أوصى قبل موته بأن يتولى أخوه عبدالله أبو العباس أمر الدعوة، والذي صار فيما بعد أول خلفاء بني العباس، كما أمر الإمام أخاه أبا العباس بأن ينتقل وأهل بيته من بني العباس إلى الكوفة، فلما وصلوا إلى الكوفة أنزلهم أبو سلمة الخلال في دار للوليد بن سعد مولى بني هاشم وكتم أمرهم عن باقي الدعاة لمدة أربعين ليلة[64].

علم بعض القادة من شيعة العباسيين في مدينة الكوفة، بنبأ قدوم أبي العباس وأتباعه وحجر أبي سلمة الخلال عليهم وأسرعوا إلى أبي العباس وبايعوه بالخلافة وعنفوا الخلال على فعلته[65].

وفي صباح الثاني من شهر ربيع الأول سنة 132 هـ خرج أبو العباس من مخبأه في جمع من القادة والأتباع ودخل مسجد الكوفة وصلي بالناس وبويع بالخلافة ثم صعد المنبر، وخطب خطبة بين فيها حقهم في الخلافة وظلم بني أمية وجورهم على الرعية وأسباب هذه الثورة، كما أشار فيها إلى فضل أهل خراسان على الدعوة[66].

وتوالت المعارك بين أنصار العباسيين وبين الجيش الأموي، حتى انتهت بهزيمة مروان بن محمد في موقعه الزاب، في جمادي الآخرة سنة 132 هـ[67] وفراره إلى مصر، ومقتله فيها في ذي الحجة سنة 132هـ[68].

تم القضاء على آخر الجيوب الأموية، وكللت مساعي الدعوة العباسية بالنجاح، وقامت دولة بني العباس على أنقاض الحكم الأموي، وذلك بفضل جهود عدد من الدعاة والذي يعد أبو مسلم الخراساني من أهمهم، بفضل دهائه وحسن تدبيره، ويقول أبو مسلم عن دوره في تلك المرحلة: ((ارتديت الصبر، وتجلببت الكتمان، وحالفت الأحزان والأشجان، وسامحت المقادير والأحكام، حتى بلغت غاية همتي وأدركت نهاية بغيتي))[69].

أبو مسلم الخراساني في عهد الخليفة العباسي أبي العباس السفاح 132-136هـ:

اختلفت الآراء حول دور أبي مسلم الخراساني في عهد الخليفة العباسي الأول أبي العباس عبدالله السفاح، 132-136هـ، ودوره في مسألة القضاء على الوزير أبي سلمة الخلال، الذي كان أبو العباس قد أسند إليه الوزارة وفوض إليه الأمور، غير أنه ربما أراد من وراء ذلك أن يستمر ولاء الفرس لهذه الدولة الناشئة، وفي قرارة نفسه يعد العدة للتخلص منه بسبب أن أبو سلمة لم يتحمس كثيراً لانتقال أفراد البيت العباسي من الحميمة إلى الكوفة وأظهر اعتراضه بحجة أن الوقت ليس مناسباً لذلك، ثم حجره على دعاة البيت العباسي في دار رطبة للوليد بن أود، هذا التصرف من أبي سلمة جعله محلاً للريبة والشك في نفوس أنصار الدعوة العباسية[70].

كما أن لعباسيين وقفزا على رغبته في نقل الخلافة إلى البيت العلوي، وعن ذلك يذكر البلاذري: ((أن أبا سلمة أراد أن يعدّ لها عن العباسيين إلى ولد فاطمة))[71] ويذكر اليعقوبي ((أن أبا سلمة إنما أخفى أبا العباس وأهل بيته ودبر أن يصير الأمر إلى بني علي[72] ويقول المسعودي: ((وقد كان أبو سلمة حفص بن سليمان حين بلغة مقتل إبراهيم الإمام، أثر الرجوع عما كان عليه من الدعوة العباسية إلى آل أبي طالب وكتب إلى جعفر بن محمد كتاباً مع رسولاً له، فأرسل إليه، لست بصاحبكم فإن صاحبكم بأرض الشرأة، فأرسل إلى عبدالله بن الحسن يدعوه إلى ذلك، فقال: أنا شيخ كبير[73]. هذه الرواية تعلل التأخير المتعمد من أبي سلمة في إظهار أبي العباس ومبايعته.

عزم أبو العباس على قتل الخلال، غير أنه رأى أن يتمهل في ذلك وأخذ بأسلوب المدارة والمداهنة ريثما تهدأ الأمور، ولما أطمأن أبو العباس إلى استقرار الأحوال، شرع في تنفيذ عزمه فأستشار أبا مسلم، فوافقه على عزمه، وطلب منه الخليفة بأن يرسل من ينفذ اغتيال أبي سلمة الخلال، فكلف أبو مسلم المرار بن أنس الضبي

بقتل أبي سلمة[74] بأن كمن له المرار الضبي، وأسيد بن عبدالله، وقتلاه ليلاً بعد أن خرج من مجلس الخليفة العباسي، ثم أشاعوا بأن الخوارج هم من قاموا بقتله[75].

يرى اليعقوبي بأن أبا مسلم هو الذي كتب من خراسان للخليفة أبى العباس، موعزاً له بالتخلص من أبى سلمة الخلال لأنه غاش لأمر الدعوة والمرجح أن الخليفة هو الذي دبر ذلك، غير أن أبا مسلم كان راضياً عن ذلك، حتى يخلو له الجو ويتخلص من أحد بني جلدنه والذي كان أعلى منه مرتبة في عهد الخليفة العباسي الأول[76].

تذكر بعض المصادر التاريخية أن نفوذ أبى مسلم الخراساني قد زاد بعد قتل أبى سلمة الخلال، حتى أنه كثيراً ما رد بعض أوامر الخليفة ولم يأبه بتنفيذها، الأمر الذي لم يرق لأخي الخليفة ومستشاره أبى جعفر المنصور، فأشار على أخيه بالتخلص من أبى مسلم وقتله قائلاً: ((أطعني وأقتل أبا مسلم والله أن في رأسه لغدرة))[77] ويبدو أن تخوف أبى جعفر من أبى مسلم قد زاد فقال لأخيه الخليفة: ((لست بخليفة ما دام أبو مسلم حياً، فاحتل لقتله قبل أن يفسد عليك أمرك، فقد رأيته وكأنه لا أحد فوقه ومثله لا يؤمن غدره ونكثه[78].

تردد أبو العباس في قتل أبى مسلم الخراساني، وربما يرجع ذلك إلى تخوفه من مغبة ذلك، بسبب كثرة أنصار أبى مسلم من أهل خراسان[79] واكتفى بأن حاول أن يحد من نفوذه، فعندما أراد أبو مسلم أن يخرج للحج في السنة نفسها، اسند أبو العباس امرة الحج إلى أخيه المنصور مما أغضب أبو مسلم وجعله يقول: ((أما وجد أبو جعفر عاماً يحج فيه غير هذا[80] ثم لم يلبث الخليفة أبو العباس أن توفي في العام نفسه)).[81].

أبو مسلم الخراساني في عهد الخليفة أبى جعفر المنصور 136-158 هـ:

بويع أبو جعفر المنصور وخلافة بني العباس لا تزال مضطربة، غير أنه استطاع أن يثبت أركانها بفضل حنكته، وطول امتداد فترة حكمه التي تقترب من اثنين وعشرين عاماً[82].

وقد تمرس المنصور بأمور السياسة ومجابهة الصعاب، حتى قبل أن يلي الخلافة، وقد ذكر المؤرخون صفاته فالمسعودي قال أنه كان: ((محنك حازم الرأي، قد عركته الدهور..، وروى العلم وعرف الحلال والحرام، لا يدخله فتور عند حادثة، ويسوس سياسة الملوك ويثبت وثوب الأسد العادي[83] وقد كان المنصور جاداً بعيداً عن اللهو والهزل يذكر الطبري أنه: ((لم ير في دار المنصور لهو قط))[84].

ولى المنصور الخلافة والأخطار لا زالت تهدده والتي تمثلت في طموح عمه عبدالله بن علي وشجاعته كقائد عسكري محنك، لاسيما وأن أبو العباس السفاح قد وعد منّ يقوم بالقضاء على الخليفة الأموي الفار مروان بن محمد من العباسيين يتولى منصب ولاية العهد وكان عبدالله بن علي هو الذي تولى هذه المهمة[85].

وتمثل الخطر الثاني في أبى مسلم الخراساني الذي كان أبو جعفر يسيء به الظن[86].

بدأ المنصور في استخدام دهائه بضرب خصومه بعضهم ببعض، في محاولته للقضاء عليهم بأسلم وسيلة، وذلك بالمخادعة لأنها أنجح وأسرع وأقل كلفة من غيرها، وتمثل ذلك في أن عبدالله بن علي والي الشام لما سمع بوفاة أخيه أبى العباس، وتولىّ المنصور لمنصب الخلافة أعلن تمرده وجمع جنده وطلب منهم بيعته وأدعى أن أبا العباس جعل له ولاية العهد عندما أرسله للقضاء على مروان بن محمد[87].

أنتدب الخليفة أبو جعفر المنصور أبا مسلم الخراساني للقضاء على حركة عمه، وقد كان يرى في قرارة نفسه بأنه إذا ما تخلص أحدهما من الآخر، فأن ذلك يعتبر مصلحة له وبعدها يتفرغ هو للقضاء على المنتصر[88] ويبدو أن أبا جعفر المنصور علل سبب تكليفه لأبى مسلم للقيام بهذه المهمة، لأن جيش عبدالله بن علي كان يضم عدداً كبيراً من الخراسانيين، وأراد المنصور أن يستميلهم، ويذكر الطبري بأن أبا مسلم قال للخليفة ((أنا أكفيك أمره إن شاء الله، إنما عامة جنده ومن معه أهل خراسان وهو لا يعصوننني))[89].

استمرت الحرب بين أبى مسلم وعبدالله بن علي حوالي خمسة شهور (136-137هـ)، انتهت بالنصر على عبدالله بن علي سنة 137هـ بفضل دهاء أبى مسلم وكفاءته العسكرية[90].

بدأ المنصور يعد العدة للقضاء على أبى مسلم، الذي زاد زهوه بعد انتصاره على عبدالله بن علي، فأرسل إليه المنصور من يجس نبضه ويشعره إلى كونه لا يعدو على أنه أحد عماله. فأرسل إليه من يحصي عليه الغنائم التي غنمها بعد انتصاره على عمه عبدالله بن علي فغضب أبو مسلم الخراساني وقال: ((أؤتمن على الدماء ولا أؤتمن على الأموال، ثم تناول أبا جعفر بلسانه وأراد قتل الرسول لولا تدخل أصحابه[91].

يبدو أن أبا مسلم نوى الخلاف فتوجه إلى خراسان، فتخوف المنصور من انفصاله، فحاول أن يصرفه عن المضي إلى خراسان فأرسل إليه ((قد وليتك الشام ومصر فهي خير لك من خراسان، فوجه إلى مصر من أحببت وأقم بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين)) وأراد المنصور من ذلك أن يحد ويضعف من مركز أبى مسلم بتكليفه بولاية الشام التي يكره أهلها خراسان ولكي يبعد أبا مسلم عن أنصاره بخراسان، بالإضافة إلى أن يجعله في الشام حتى يكون قريباً من مركز الخلافة لكي تسهل مراقبته، وتنبه أبو مسلم لهدف أبى جعفر المنصور فغضب وقال ((هو يوليني الشام ومصر، وخراسان لي)) واستمر في سيره إلى خراسان[92] ويعد هذا الخلاف العلني الأول لإرادة الخليفة.

عمد أبو جعفر إلى أساليب الدهاء فدعا أبا مسلم إلى زيارته ليتحدث وإياه في أمور هامة، فكتب أبو مسلم إلى جعفر جاء فيه: ((أنه لم يبق لأمير المؤمنين أكرمه الله عدو إلا أمكنه الله منه. وقد كنا نروي عن ملوك آل ساسان أن أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء. فنحن نافرون من قربك حريصون على الوفاء بعهدك ما وفيت، حريون بالسمع والطاعة غير أنها من بعيد حيث تتقارنها السلامة. فإن أبيت إلا أن تعطي نفسك إرادتها نقضت ما أبرمت من عهدك ضناً بنفسي))[93] إن لهجة أبى مسلم توحي بالتهديد بالخلاف والتعالي على الخليفة الجديد وينتظر فيه أن يعامله معاملة الند للند كما أن يهدده بالعصيان إن تعرض له.

وجه أبو جعفر المنصور عيسى بن موسى برسالة تحمل عقاباً قوياً إلى أبى مسلم ومما جاء فيها: ((قد فهمت كتابك وليس صفتك صفة أولئك الوزراء الغششة ملوكهم الذي يتمنون اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم، فإنما راحتهم في انتشار نظام الجماعة، فلم سويت نفسك بهم؟ فأنت في طاعتك ومناصحتك بما حملت من أعباء هذا الأمر على ما أنت به))[94].

وأرسل إليه في نفس الوقت جرير بن يزيد بن عبدالله البجلي، وطلب منه أن يبدأ معه أسلوب الترخية والإقناع، فإن لم يتحقق الهدف بهذا الأسلوب حمّله برسالة يخاطب فيها الخراساني يقوله: ((لست للعباس وأنا بريء من محمد إن مضيت مشاقاً ولم تأتني إن وكلت أمرك إلى سواي ولم آل طلبك وقتالك بنفسي... حتى أقتلك أو أموت قبل ذلك))[95].

وقد تبين مكر ودهاء جرير في تأديته لرسالته، عندما حث أبا مسلم على إجابة الخليفة، وحذره من مغبة الخلاف[96] واستشار أبو مسلم أحد أصحابه، ويدعى مالك بن الهيثم، فنصحه بأن يذهب إلى خراسان[97]، غير أن المنصور لعب لعبة ماكرة بأن أرسل إلى داوود خليفة أبى مسلم على خراسان بالإمارة على خراسان وأطمعه بذلك. فكتب أبو دواوود إلى أبى مسلم ((إنا لم نخرج لمعصية خلفاء الله وأهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم فلا تخالف إمامك ولا ترجعن إلا بإذنه[98] فقتله. أصبح أبو مسلم بين فكي كماشة الخليفة من ورائه وأبو داوود في خراسان، وأمام هذا الوضع رأى بأن يتوجه إلى العراق، حيث مثل أمام الخليفة الذي كان قد أُمر حراسه بضربه بسيوفهم في مجلسه بعد أن واجهه بعدد من التهم وكان ذلك في شعبان 137هـ، وقد كان أهم هذه التهم قتله سليمان بن كثير الخزاعي شيخ الدعاة دون استشاره الخليفة ومحاولته الخروج والاستئثار بإقليم خراسان، وتدخله في شئون الدولة خلال خلافة أبى العباس، وادعائه النسب إلى الهاشميين بزعمه أنه من ولد سليط بن عبدالله بن العباس[99].

وعلى الرغم من أن أبا مسلم كان مدلاً بنفسه مسرفاً في سفك الدماء، إلا أن ذلك لا يجعلنا نبخسه حقه في كونه من نوابغ الرجال الذين أسهموا في تأسيس الدول، ولو كانت هذه الدماء أقتضتها الضرورة لتثبيت كيان الدولة يعد من أعظم الساسه إلا أنه أسرف في سفكها وقتل على الظن.

المصادر والمراجع

1. شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان ج3، دار صادر، بيروت، 1972م، ص100.
2. عزالدين بن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، دار صادر، بيروت، 1965، ص255.
3. أحمد بن داوود الدينوري، الأخبار الطوال، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1960م، ص337.
4. مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية، تحقيق د. عبدالعزيز الدوري، دار صادر، بيروت، 1971م، ص260.
5. المصدر السابق، ص261.
6. ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص255.
7. الدينوري، المصدر السابق، ص337.
8. مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص261.
9. المصدر السابق، ص261.
10. المصدر السابق، ص256.
11. مطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، ج6، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ص93.
12. ابن خلكان، مصدر سابق، ج3، ص148.
13. يونيوس فلهوزون، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة د. محمد أبو زيد، القاهرة 1968م، ص491.
14. جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك والقاهرة، ج1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1973م، ص335.
15. شمس الدين محمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل ليدن، 1909م، ص293-294.
16. جمال الدين سرور، الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني للهجرة، القاهرة، 1973م، ص174.

17. أحمد بن يعقوب بن جعفر اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، بيروت، 1970م، ص333.
18. عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ص86.
19. الدينوري، مصدر سابق، ص34.
20. محمد جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج9، مكتبة خياط بيروت، ص76.
21. الدينوري، مصدر سابق، ص344.
22. الطبري، مصدر سابق، ص83.
23. الدينوري، مصدر سابق، ص344.
24. المصدر السابق ص355-356.
25. أحمد بن عبد ربه، العقد الفريد، ج3، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1973، ج3، ص197.
26. ابن خلكان، مصدر سابق، ج3، ص149.
27. علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، دار صادر، بيروت، 1973م، ص171-172.
28. الدينوري، مصدر سابق، ص343.
29. الطبري، مصدر سابق، ج9، ص84.
30. حسن محمود، العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر، القاهرة، 1966، ص43.
31. حسن ابن الأثير، مصدر سابق، ج5، ص357.
32. مجهول، مصدر سابق، ص374.
33. الدينوري، مصدر سابق، ص360،359.
34. الطبري، مصدر سابق، ص84.
35. الدينوري، مصدر سابق، ص361.
36. مجهول، مصدر سابق، ص277.
37. المصدر السابق، ص278.
38. الطبري، مصدر سابق، ج9، ص88.

39. الدينوري، مصدر سابق، ص36.
40. ابن خلدون، مصدر سابق، ج3، ص91.
41. المصدر السابق، ج، ص92.
42. الطبري، مصدر سابق، ج9، ص90.
43. المصدر السابق، ج9، ص91.
44. المصدر السابق، ج9، ص 92،93.
45. المصدر السابق ، ج9، ص105.
46. المصدر السابق ، ج9، ص106.
47. المصدر السابق ، ج9، ص107.
48. ابن الأثير، مصدر سابق، ج5، ص269.
49. ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص95.
50. المصدر السابق، ج3، ص96.
51. الأثير، مصدر سابق، ج5، ص270.
52. الطبري، مصدر سابق، ج9، ص110.
53. مجهول، مصدر سابق، 331.
54. الطبري، مصدر سابق، ج9، ص111.
55. مصدر سابق، ج9، ص112.
56. ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص393.
57. مجهول، مصدر سابق، ص334.
58. ابن الأثير، مصدر سابق، ص398.
59. مجهول، مصدر سابق، ص340.
60. الطبري، مصدر سابق، ج9، ص118.
61. اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص243.
62. عبدالرحمن الأربلي، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ص78.

63. اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص244.
64. الطبري، مصدر سابق، ج9، ص134.
65. المسعودي، مصدر سابق، ج3، ص 253-255.
66. ابن الأثير، مصدر سابق، ج9، ص135.
67. المسعودي، مصدر سابق ذكره، ج3، ص345.
68. الطيري، مصدر سابق، ج9، ص137.
69. الأربلي، مصدر سابق، ص75.
70. عبدالله بن مسلم ابن قتبه، الإمامة والسياسة ج2، نشر مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1973م، ص196.
71. البلاذري، فتوح البلدان، مطبعة السعادة، القاهرة، ص117.
72. اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص350.
73. المسعودي، مصدر سابق ج3، ص346.
74. بن قتيبه، مصدر سابق، ج2، ص145.
75. محمد بن علي بن طباطبا، الفخري في الآداب السطانية والدول الإسلامية، مطبعة محمد صحيح القاهرة، 1962م، ص210.
76. اليعقوبي، ج2، ص351.
77. الدينوري، مصدر سابق، ص268.
78. المصدر السابق، ص271.
79. المصدر السابق، ص273.
80. الطبري، ج9، ص177.
81. ابن طباطبا، المصدر السابق، ص212.
82. أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، 1970م، ص46.
83. المسعودي، المصدر السابق، ج3، ص341.
84. الطبري، مصدر سابق، ج9، ص149.

85. المصدر السابق، ج9، 151.
86. العبادي، مرجع سابق، ص48.
87. اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص356.
88. الطبري، مصدر سابق، ج9، ص161.
89. المصدر السابق، ج9، ص162.
90. العبادي، مرجع سابق، ص50.
91. الطبري، مصدر سابق، ج9، ص162.
92. المصدر السابق، ج9، ص164.
93. المسعودي، المصدر السابق، ج3، ص217.
94. الطبري، المصدر السابق، ج9، ص162،161.
95. المصدر السابق، ج9، ص163.
96. المصدر السابق، ج9، ص164.
97. المسعودي، مصدر سابق، ج3، ص217.
98. الطبري، مصدر سابق، ج9، ص165.
99. ورد الحوار الذي تم بين الخليفة أبى جعفر المنصور وأبى مسلم الخراساني قبيل أن يأمر الخليفة حراسه بقتل أبى مسلم. في تاريخ الطبري، ج9، ص178، 169 وفي الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ج5، ص476، 477.